النبیی الأکرم(ص) "کان خلقه القرآن"

حجة الإسلام ڈاکٹر ساجد علی سبحانی [1]

dr.sajidsubhani@yahoo.co

کلمات مفتاحیة: الخلق، النفس، الفضائل، الرذائل، قران عملیی، الھویة الخلقیة، القائد الاسلامیی، المبلغ الدینیی-

تلخیص:

الخلق یتعلق بأعظم جزء الانسان وھوالروح أوالنفس. الخلق عبارة عن ھئیة فی النفس راسخة، عنھا تصدر الافعال الخلقیة بسھولة ویسر، لابندرة وتکلف-والأخلاق إمّا حسنة تسمی بالفضائل وإمّا قبیحة تسمی بالرذائل، وان کانت کلمة الخلق أوالاخلاق تنصرف إلی الحسنة اذا أطلقت. کفی عظمة للخلق أنه حینما أراد الله تعالیٰ أن یثنیی النبیّ الکریم(ص) فلم یثن علی علمه أو شجاعته أو زھده وغیرذلك من الکمالات الروحیة والبدنیة، بل أثنی علی خلقه فقال: "وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" بأسلوب التاکید.

وھذا فی الحقیقة شھادة من الله تعالیٰ بأن حیاة النبیی(ص) کلھا عبارة عن الاخلاق وکان الرسول الکریم(ص) قرانا عملیا تجسمت فیه تعالیم القرآن. فھو قدوة و أسوة للمسلم فی جمیع مجالات الحیاة فی کل موضوع وزمان. و استطاع النبی الکریم(ص) بمکارم أخلاقه أن یحدث تحوّلا عظیما فی المجتمع الانسانیی- ذاك الوقت- و أخرجه من الضلالة و الظلمة والشرك إلی النور و الھدی و التوحید- یستمر الاھتداء بخلقه العظیم فی کل عصر-

تظھر عظمة الخلق بأنه من أسباب رقیی فرد وملة ومجتمع- الأمم اذا تلبست بالأخلاق، فبامکانھا أن تفتح قلوب الناس والبلاد- واذا ذھبت أخلاقھم فتذھب وتفنی وتندثر کما شھدت بذلك حکومة المسلمین علی الأندلس ثم زوالھا بزوال أخلاق المسلمین خاصة حکامھم- وتشھد بذلك حال الأمة المسلمة فی العصر الحاضر- إن من أسباب صعف واضمحلال الامة المسلمة ضعف الھویة الخلقیة- فتحتاج الأمة إلی دراسة الاخلاق المحمدیة الحیدة والتخلق بھا-

قد ألقی القرآن الکریم الضوء علی مکارم أخلاق الرسول الأعظم(ص) وکشف القناع عن نواحیه المتنوعة. وقد جمعت فی ھذہ المقالة المتواضعة ایات متعددة من عشر سور، التیی تحدث عن بعض جزئیات أخلاقه الکریمة مثل الصبر والعفو والعبادة وغیرذلك-

تمھید

اوّلا- إن الانسان مرکب من جسد مدرك بالبصر، وروح أی نفس مدرکة بالبصیرة. الجسد من الطین والروح من أمرالرب، فالجسد خلق والروح أمر، والخلق یقبل التدریج بخلاف الامر "قال الله: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (

1- مدیر و أستاد جامعة الرضا، بارہ کہو، اسلام آباد- أستاد جامعة المصطفیٰ العالمیة، اسلام آباد-

1) و الجانب الروحاني اعظم قدرا من الجانب الجسدي، قال الله تعالىٰ: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ o فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. (2)

متطلبات الجسد عبارة عن الماء والهواء والغذاء واللباس و المكان وغير ذلك من الامور المادية ولكن النفس أو الروح فمتطلباتها امور غير مادية من العلم والحكمة والتربية والعمل الصالح وغيرها.

ثانيا. يعبّر عن الجانب المادي للانسان بـ"الخلق" بفتح الخاء وسكون اللام وأما الجانب الباطني الروحاني فيعبرعنه بـ"الخلق" بضم الخاء وسكون اللام أوضمها ويجمع على أخلاق. والخلق عبارة عن الطبع والسجية واصطلاحا فقد عرّف بتعاريف عديدة:

قال الامام الغزالي: ". . . فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر و روية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة، سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا. وانما قلنا إنهاهيئية راسخة؟ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة، لايقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ. وإنما اشترطنامنه الافعال بسهولة من غير روية؟ لأن من تكلف بذل المال أوالسكوت عند الغضب بجهد و روية، لايقال خلقه السخاء والعلم'''" (3)

وقال العلامة الفيلسوف الطباطبائی عن تعريف الخلق:

"---- الخلق هوا الملكة النفسانية التي تصدر عنها الافعال بسهولة وينقسم إلى الفضيلة وهي الممدوحة كالعفة والنشجاعة، و الرذيلة وهي المذمومة كالشره (الحرص) والجبن، لكنه إذا اطلق فهم منه الخلق الحسن''''". (4)

ثالثا. الاخلاق من أهداف الاديان السماوية، وأمادين الاسلام، فيتضمن الأخلاق مضافا إلى العقائد والعبادات والمعاملات. اهتم الإسلام قرانا وسنة بالجانب الخلقي للانسان اهتماما بالغاحتى جعل إصلاحه من أهداف بعثة النبى الأكرم. وقد كرّر هذا المضمون أربع مرات في سور البقرة و آل عمران والجمعة، فقال. عزوجل.

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (5)

"---- فتزكيته لهم تنبيته لهم نماء صالحا بتعويدهم الأخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة، فيكملون بذلك في انسانيتهم، فيستقيم حالهم فى دنياهم و آخرتهم، يعيشون سعداء ويموتون سعداء. . . ". (6)

والنبى الاكرم نفسه قد صرّح بأن إتمام الاخلاق غاية بعثته و رسالته حيث قال "إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق". (7) ومارواه الامام أحمد فهوقول النبى(ص): إنمابعثت لأتمم صالح الأخلاق. (8)

و أما على ما روى المحدث الكبير الشيخ الطوسي، فمن الامام على بن ابى طالب(ع) قال سمعت النبى(ص) يقول: "بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها"(9)

قد عقد الشيخ الكليني بابا مستقلا معنونا بـ"باب حسن الخلق" وأورد فيه ثمانية عشر حديثا. منها ما قال فيه رسول الله(ص): مايوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق. (10)

نظر إلى أهمية الاخلاق عند الله عزوجل فحينما أراد أن يثني نبيه الكريم، فلم يثن على علمه، أو شجاعته، أو زهده وغير ذلك من الكمالات الروحية والجسمية، بل أثنى على خلقه مؤكدا بتاكيدين: إن واللام المزحلقة وقال: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (11)

والمعنى أنك- ايها النبي الكريم- مستقر على اخلاق عظمية ولايوجد فيي تصرفاتك السلوكية شيء غير الخلق. فهذا فى الحقيقة شهادة من الله سبحانه بأن حياة النبي الاكرم كلها عبارة عن الاخلاق فما أمر به فى القرآن، امتثله وكل مانهاه عنه انزجرعنه، فكان (ص) قرانا عمليا تجسمت فيه تعاليم القرآن. من ثم أفصحه الله تعالى عن كونه أسوة وقدوة للناس إلى يوم القيامة فى جميع مجالات الحياة: تعليما، وعبادة، وصلحا اوحربا، وانفرادا أو اجتماعا، وقائدا أو عضوا لعائلة. فقال عزوجل:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا (12)

والمستفاد من الاية كونه أسوة وقدوة على الاطلاق فيي كل موضوع وفى كل زمان. ومن العجيب أنه تجلى فى شخصية النبى الأكرم القرآن الكريم، لم يفترق فى جميع تصرفاته السلوكية عن الوحيي الالهيي قطّ. وبهذا السبب عندما سئلت ام المومنين عائشة. رضى الله تعالى عنها. عن أخلاق النبيّ فأجابت: فان خلق رسول الله كان القرآن. (13)

رابعا. إن من أسباب رقيي فرد أوملة ومجتمع حسن أخلاقها والقيم الاخلاقية الحاكمة عليها. التاريخ خير شاهد على أن خلود شخصية فرد، وبقاء واستمرار أمة ودولة وتقدم حضارة، كل هذا مرهون بالفضائل الاخلاقية وبالعكس الاضمحلال، والاندثار والفناء والتقهقر كل هذا مسبب عن فقد الفضائل الاخلاقية. فكيف استطاع النبى الاكرم أن يبدل الوضع السيىء للمجتمع- ذاك الوقت- من الضلالة والشرك والحيوانية والجهالة إلى الهدى والتوحيد والانسانية والحكمة حتى وصل مقاما رفيعا سماه الله تعالى- خيرامة." وقال:

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (14)

فهذا التحول العظيم لم يكن بإعجاز منه(ص) وان كان ذا قوة اعجاز قد صدرت على يديه مئات المعجزات، بل بأسباب منها شخصية النبى المحمودة ذات الأخلاق الكريمة الرفيعة كما قال الله عزّوجلّ: وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ. . .(15)

هذه الحقيقة لاينكرها إلا مكابر بل صدقها الحكماء والشعراء. قال الامام على (ع):

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والادب

المعنى أن الانسان يتزين، يتجمل لا باللباس وغير ذلك من التزينات بل هويتزين اذا كان واجداً للعلم والخلق. العلم والخلق جناحا التقدم.

قال الشاعر الحكيم المتنبيي:

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن فى فعله والخلائق

المعنى أن الحسن الظاهرى ليس شرفا للانسان بل الشرف الواقعيي الحسن فى الافعال والاخلاق.

وصدق شاعر الاخلاق، اميرالشعراء احمد شوقيي:

إنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

صلاح أُمرك للأ خلاق مرجعه   فقوّم النفس بالأ خلاق تستقم

اذا أصيب القوم فى اخلأ قهم   فأقم عليهم مأتما وعويلا

فهذا الشاعر العظيم يقول بذهاب و فناء القوم عندما ذهبت اخلاقهم "فان ذهبت اخلاقهم ذهبوا" والتجربة أصدق شاهدٍ على هذه الفكرة.

ينبعث هناك سؤال بأنه لما ذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ أجاب الشاعر منه بأن من أعظم اسباب تأخر المسلمين فساد الاخلاق. فتح المسلمون البلاد بأخلاقهم حتى فتحوا الأ ندلس. استمرت حكومة المسلمين على الأندلس قائمة لمبادئ الإسلام من العدل و ترفيه وخدمة الرعية. قد أتيحت الفرصة للمسلمين لأن يحكموا الأ ندلس حوالىي ثمانمائة (800) سنة بداية من عام ثنتين وتسعين(92ھ المعادل711م) إلى عام ثمانمائة وسبع و تسعين (897ھ المعادل1492م) ولكن ما استطاع المسلمون- لاسيما حكامهم- أن يحفظوا أنفسهم من سنة الهية وهى:

إِنَّ اللّٰهَ لاَيُغَيِّرُمَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ (16)

فإذتغيرت عادات واطوار المسلمين من الدعوة إلى الله مع وحدة الكلمة، و تعليم الدين للناس، والالتزام بمبأدى الإ سلام والدفاع عن الارض الاسلامية إلى الغناء، والترف واللهو، و الموشحات (17) وشرب الخمور والمسكرات. وبهذ السبب فقد المسلمون الفاتحون الأندلس وخرجوا منها مغلوبين مطرودين وسقطت الندلس بيد الإفرنج. وانتهت بذلك الخلافة الاسلامية فى شبه الجزيرة الأيبرية.

ونفس هذا الوضع نشاهده للمسلمين فى العصر الحاضر. فهم- أكثرهم- محكومون للآخرين بسبب الانحراف عن الدين و الفساد الخلقى وتفريق الكلمة. فما دامت الامة المسلمة تبقى على هذا الوضع السيىء الأ خلاقى، ولايصلح حالها خلقا وعقيدة وعملا، فلاتتوقع التخلص من الاضمحلال والمحكومية.

بعد تحرير الأمور التمهيدية، نتشرف بذكر عدة آيات مباركة التى تكشف القناع عن بعض جزئيات الأخلاق المحمدية الحميدة حتى يتبين أن خلقه(ص) كان القرآن كما روي عن أم المومنين عائشة(رض).(18)

1. سورة آل عمران، قال الله عزوجل:

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (19)

تفسيرالاية: واذ كان حال المومنين فى غزوة أحد من التشبه بالذين كفروا و التحسر على قتلاهم، فبرحمة منا-أيها النبيى-كنت ليّنا لهم، رفيقا بهم. و لو كنت، سيىء الخلق، قاسيى القلب لتفرق أصحابك من حولك، فلاتؤاخذهم بما كان منهم " فى أحد" و اسأل الله أن يغفر لهم و شاورهم فى الامور التى تحتاج إلى مشورة ليكون ذلك امضاء ليسرتك. أما اذا عزمت على أمر بعد الاستشارة، فامضه معتمدا على الله وحده وتوكل عليه، ان الله يحب المعتمدين عليه (20)

و "فى هذه الاية دلالة على تخصيص نبيناً بمكارم الأخلاق ومحاسن الخصال" (21)

نكات أخلاقية فى الاية:

1) الاية تعطينا درس العفو ممن أساء الينا اذا كانت الإساءة متوجهة إلى شخصنا لا إلى المجتمع ولا إذا كانت يلزم منها إضاعة حق لاحدٍ.

2) الاستشارة ممن يليق بها، يقال: ماخاب من استشار.

3) التوكل والاعتماد على الله- عزوجل- بعد الاستشارة والعزم.

2. سورة الانعام، قال الله تعالى:

قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ. (22)

تفسير الاية: لاشك ان النبي الأكرم(ص) كانت شخصيته واجدة لجميع دواعي الترفع والعلو من العلم والشجاعة والحكمة والعدالة والحكمة و الجمال وغيرها وكان أيضاً صاحب ولاية تكوينية وإعجاز وكان يخبر عن الغيب، فكان من الممكن أن يدعي أية دعوى عالية حتى الألوهية - معاذ الله- ولكن لم يدع إلا أنه رسول من الله إلى الناس لهدايتهم، فلم يظهر ترفعه وعلوه على أحدٍ.

فأخذ الكفار يقترحون عليه أن يأتي بالمعجزات واعترضوا بما كان يأتي به من أعمال متعارفة بشرية من الأكل والشرب والمشي. فقال الله: قل .يأيها النبي- للمشركين: لم أدع فيما أدعوكم اليه أني أملك خزائن الألوهية حتى تقترحوا عليّ أن أفجّر أنهارا أو أخلق جنة أو بيتا من زخرف، ولا ادعيت أني أعلم الغيب حتى أجيب عن كل ماهو مستور تحت أستار الغيوب كقيام الساعة، ولا ادعيت أني ملك تعيبوني و تبطلو قولي بأكل الطعام والمشي في الأسواق للكسب، بل إلى الله يوحي إليّ بما يوحى، فأدعوكم إلى دين التوحيد. (23)

نكات أخلاقية في الاية:

1. أن يجتنب الانسان عن التصنع والتكلف ويبقى على الحقيقة والواقعية كما هي، بل عليه أن يظهرها للآخرين. ولا يكتمها.
2. عليه أن لا يترفع على الآخرين، و ان كان على مقام ومنصب رفيع. نعم، يعتبر في الامر اللزومي كلا العلوّ و الاستعلاء كما حقق في علم الأصول. (24)
3. الانسان إذا كان ذا منصب فلا عيب له بالافعال العادية البشرية من السعي لكسب الحلال و الاجتماع مع الآخرين بدون أيّ تشخص.

3- سورة الاعراف، قال الله:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (25)

تفسير الاية : أخذ العفو عبارة عن التستر على إساءة من أساء إليه، والاغماض عن حق الانتقام الذي يعطيه العقل الاجتماعي. واما تضيع حق الغير بالاساءة اليه فليس بما يسوغ فيه العفو شرعا وعقلا وقانونا اجتماعيا.

فالمراد بقوله: "خذ العفو" هوالستر بالعفو فيما يرجع إلى شخصه(ص) وعلى هذا كان(ص) يسير فإنه(ص) لم ينتقم من أحدٍ لنفسه قطّ قالت عائشة(رض): ماانتقم رسول الله لنفسه فى شيئ يوتى اليه حتى ينتهك من حرمات الله فينتقم لله. (26) "و أعرض عن الجاهلين" أى أعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم واليأس من قبولهم، ولا تقابلهم بالجهل والسفه صيانة لقدرك. (27)

نكات أخلاقية فى الاية:

1) الالتزام بالعفو، وعدم الانتقام الشخصى ممن أساء إلينا.

2) الأمر بالمعروف والفعل الحسن.

3) الإعراض عن الجاهلين ان ارتكبوا فعلا سفهيا وعدم مقابلتهم بالجهل.

4- سورة التوبه، قال الله تعالىٰ:

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ (28)

تفسير الاية: من المومنين - وهم فى الحقيقة المنافقون - يو ذون النبى بقولهم" هوأذن" أى يسمع إلى ما يقال له ويصغيى اليه ويقبله بلا تفريق بين القائلين، كأن هذا العمل كان عيبا فى شخصيته. فردّ القرآن و أجاب بأنه(ص) أذن و لكن اذن خير لكم. فكونه(ص) أذنا أصلح لكم، لأنه يقبل عذركم، و يستمع إليكم. ولو لم يقبل عذركم لكان شرا لكم. فكيف تعيبونه بما هو أصلح لكم؟ هو رحمة للمومنين لانهم انما نالوا الايمان بهدايته و دعائه اياهم. (29)

نكات اخلاقية فى الاية:

1. تعييب النبى(ص) بأيّ عيب خلقيى وخُلقيى إيذائه. ومن آذى النبى(ص) لعنه الله تعالىٰ، قال عزوجل: وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (30)

2. القائد الاسلاميى يلزمه كونه أذن خيرلجميع ألاعضاء، فيستمع إلى مقالة كل قائل ولكن العمل على ما هو صادق واقعا.

3. الخلق لا ينحصر فى الصدق والعفو والايثار بل له مجالات: الخلق مع الله والخلق مع النبى، والخلق مع العائلة. و. . . . فالله عزوجل قد قرّر أخلاقا و آدابا للمسلمين مع النبى(ص) و منها أن يجتنبوا من قول و فعل يوذى حبيب الله تعالىٰ.

5- سورة النحل، قال الله تعالىٰ:

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّٰهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (31)

تفسير الاية: واصبر- أيها النبيى- فيما تبلغه من الرسالة، لأن تبليغ الرسالة إلى المشركين كان امراصعبا مليئا بالإيذاءت منهم المتنوعة. "وماصبرك الابالله" أيى بتوفيقه وتسييره وترغيبه فيه. ولاتحزن على المشركين فى إعراضهم عنك، فانه يكون الظفر والنصرة لك عليهم. "ولاتك فى ضيق مما يمكرون" أى لايكن صدرك فى ضيق من مكرهم بك وبأصحابك، فان الله يردّ كيدهم فى نحورهم. (32)

نکات اخلاقية:

1) مهمة تبليغ الرسالة إلى الناس صعبة محفوفة بالمشاكل والإيذاءات. فالمبلغ الديني لابد أن يهيىء نفسه لمواجهة المشاكل والإيذات بالصبر والاستقامة والحكمة، الصبر مفتاح الظفر و النصرة.

2) الصبر قبال المشاكل والايذاءات وكيود المخالفين يتيسّر بتوفيق من الله والدعاء منه. عزوجل.

3) المبلغ الديني لاييأس فى أداء هذه المهمة بالمشاكل والايذاء ات، بل فى النهاية هويظفر و ينتصر.

4) المبلغ الديني لا يعتمد على الأمور والإ مكانيات المادية بل يعتمد على النصرة الغيبية من الله سبحانه.

5) المبلغ الديني- بالمعنى الحقيقي- الظفر النهائيي يكون له، كما كان النبى الا كرم(ص) قد ظفر فى مهمة التبليغ والدعوة.

6- سورة الكهف، قال الله تعالىٰ:

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (33)

تفسير الاية "باخع" أى مهلك وقاتل نفسك على آثار قومك الذين قالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا- وذالك تمردا منهم على ربهم "ان لم يومنوا بهذا الحديث" أى القرآن، "اسفا" أى حزنا و تلهفا. (34) و المعنى" يرجى منك أن تهلك نفسك بعد اعراضهم عن القرآن وانصرافهم عنك من شدة الحزن" (35)

نکات اخلاقية فى الاية:

1. القائد الدينيّ يكون مخلصا فى عمله يثقل عليه إعراض الناس عن الحق وهو يتألم به.
2. الإعراض عن القرآن الكريم لايجوز ولا يتحمل عندالله و رسوله. الإعراض عن القرآن يلازم الضلالة والشقاوة والهلاك فى الدنيا والاخرة. و أما الالتزام والتمسك بالقرآن فهو يلازم السعادة والفوز فى الدارين.
3. القائد الدينى يكون محور فعّاليات ونشاطاته القرآن الكريم: تعليمه وتلاوته، ونشر تعاليمه فى المجتمع.

7. سورة الكهف، قال الله تعالىٰ:

فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ٥ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ٥ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (36)

تفسيرالاية: هذه الاية من الايات التى تذكر قصة أصحاب الكهف التى أشارت اليهود على قريش أن تسأل النبى(ص) وتختبر بها صدقه فى دعوى النبوة. " و المعنى واذا كان ربك أعلم وقد أنباك نبأهم فلاتحاجهم فى الفتية أي أصحاب الكهف إلامحاجة ظاهرة غير متعمق فيها، أو محاجة ذاهبة لحجتهم، ولاتطلب الفتيا فى الفتية من أحدٍ منهم، فربك حسبك"(37)

قال العلامة الطباطبائيى:

"الاية الكريمة سواء كان الخطاب فيها للنبى خاصة أوله ولغيره، متعرضة للامر الذى يراه الانسان فعلا لنفسه ويخبر بوقوعه منه فى مستقبل الزمان. . . والذى يراه القرآن فى تعليمه الالهيى أن ما فى الوجود من شيئ ذاتا كان أو فعلا و أثرا فإنما هو مملوك لله وحده أن يفعل فيه مايشاء ويحكم فيه مايريد، لا معقب لحكمه- وقد تكاثرت الايات الدالة على أن كل عمل من كل عامل موقوف على اذنه تعالىٰ. و اذا عزم على فعل أن يعزم متوكلا على الله واذا وعده بشوء أو أخبر عما يفعله، أن يقيده باذن الله او بعدم مشيته خلافه (38)

نكات اخلاقية فى الاية:

1) اذا أراد المسلم أن يفعل شيئا فى المستقبل أو الوعد مع الآخر، فعليه أن يعلقه على مشية الله ويقول "اِن شاء الله" وعليه السيرة النبوية المقدسة كما فى حديث عتبان بن مالك. رض. عندما قال له(ص): وددت يا رسول الله إنك تاتين فى بيتى فأتخذه مصلى . . . فقال له رسول الله سأفعل اِن شاء الله تعالىٰ. . . . (39) وعليه سيرة الانبياء العظام، قال موسى(ع): سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ صَابِرًا "(40) وقال سيدنا اسماعيل(ع): سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (41) وهذا مقتضى خلق الانسان مع الله.

2) اذا كانت هناك حاجة للجدال والمراء فأن يكون بلين وسهولة و أن يكون ظاهرا مفيدا للعلم واليقين.

8.سورة طه، قال الله تعالىٰ:

طهO مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ O إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (42)

تفسيرالاية: "طه" اسم من أسماء النبيى(ص) فبهذا الاسم قد نادى الله حبيبه فقال، والمعنى ما أنزلنا عليك-يا محمد(ص)- القرآن لتشقى به اى تتعب نفسك فى سبيل تبليغه بالتكلف فى حمل الناس عليه. قال الامام ابن كثير:

"ما أنزل الله القرآن على رسوله. قام به هو أصحابه فقال المشركون من قريش: ماانزل القرآن على محمد الا يشقى فانزل الله: طه ماأنزلنا عليك القرآن تشقى الاتذكرة لمن يخشى اى لا، والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا و دليلا إلى الجنة. (43)

نكات اخلاقية فى الاية:

1. بين الله تعالىٰ ان النبى الاكرم(ص) قدوة للناس فى العبادة كما فى سائر المجالات.
2. القرآن موعظة وتذكرة لمن فى قلبه خشية من الله. فعلى المسلم أن يتخذه موعظة وتذكرة حياته.
3. من باب الخلق مع النبى(ص) على المسلم أى يراعيى وقت النداء عظمة مقام خاتم النبين(ص) و لاينا ديه كما ينادي الآخرين. كفى عظمة للنبى الأكرم(ص) أن الله لم ينادہ باسمه فى القرآن كما نادى سائر الانبياء العظام بأسمائهم، فقال مثلاً يا آدم، يا نوح.

9.سورة طه، فقال الله تعالىٰ :

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ O وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ O وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (44)

تفسیرالایة: یقول اللہ عزوجل فی ھذہ الکریمة بأنہ إذا کان من قضاء اللہ أن یؤخرعذابھم ولا یعاجلھم بالانتقام علی مایقولون، فلاینبغی لک-أیھا النبیی-إلا أن تصبر راضیا علی ما قضاہ اللہ تعالیٰ من الأمر وتنزھه عما یقولونه من کلمة الشرک ویواجھونک به من السوء وتحمدہ علی ماتواجھه من آثار قضآئه، فلیس الا لجمیل. فاصبرعلی مایقولون وسبح بحمد ربک قبل طلوع الشمس وقبل غروبھا ومن آناء اللیل لعلک ترضی بالشفاعة والدرجة الرفیعة.

ثم یقول اللہ سبحانه .: لا تطل- أیھا النبی- النظر إلی زینة الحیاة الدنیا وبھجتھا التی متعنا بھا أصنافا أو ازواجا معدودة منھم، لنمتحنھم فیما متعنابه، والذی سیرزقک ربّک فی الاخرة خیرو أبقی.

ویقول: و أمر-أیھا النبی- أھلک أی أھل بیتک و أھل دینک بالصلاة واصطبرعلیھا أی واصبرعلی فعلھا وعلی أمرھم بھا. لانسائک رزقا"- أیھا النبی-لخلقنا ولالنفسک، بل کلّفناک للعبادة واداء الرسالة، وضمنا رزق جمیع العباد.

نزرقک ای نرزق جمیع الخلق ولا نسترزقھم. والعاقبة المحمودة لاھل التقویٰ. (45)

نکات أخلاقیة فی الایة:

1. الایة تأمر الذین یبلغون رسالات اللہ بالصبرفی ھذا الطریق، علی عدم قبول قولھم والایذاءات من المتمردین.
2. الایة لاتأمربالصبرفقط بل بالتسبیح والذکرو العبادة.
3. الایة تنھی عن الطمع فی أسباب زینة الدنیا.
4. رزق الاخرة خیروبقی.
5. یبدأ المبلغ الدینی عملیة التبلیغ بأھل بیتہٖ وممن یتعلق به، فیأمرھم بالمعروف ثم الآخرین.
6. الذین یشتغلون بنشاطات دینیة فی المجتمع لایتوقعوا الرزق من أھل الدنیا بل یتوقعونه من اللہ سبحانه، ھوقد ضمنه لھم.
7. وعداللہ المتقین بأن لھم حسن العاقبة.

10. **سورة للشعراء، قال اللہ تعالیٰ:**

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَO وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَO فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَO وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِO الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُO وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَO إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (46)

تفسیرالایة: نھی اللہ عزوجل فی ھذہ الایات نبیّه ﷺ. عن الشرک ثم قال أنذر- أیھا النبیی-عشیرتک وقرابتک الأقربین من المؤمنین الذین اتبعوک، فاجمعھم إلیک بالرأفة واشتغل بھم بالتربیة وان عصوک فتبرأمن عملھم ولیس لک من أمر طاعتھم ومعصیتھم شیء وراء ما کلفناک، فکل ما وراء ذلک إلی اللہ سبحانه، وتوکل فی أمر المتبعین والعاصین جمیعا إلی اللہ فھوالعزیز الرحیم، یعمل بسنتہٖ أیي یأخذ العاصین وینجیی المومنین. (47)

نکات اخلاقیة فی الایة:

1) تنهانا هذه الایة عن الشرك بجمیع اقسامه.

2) "لا استثناء فی الدعوة الدینیة ولا مداهنة کما هو معهود فی السنن الملوکیة، فلا فرق فی تعلق الانذار بین النبی و أمته، لا بین الاقارب والأجانب، فالجمیع عبید، الله مولهم". (48)

3) تؤکد الایة للقیادة الاسلامیة بالرأفة والرحمة ممن یتبع الدین.

4) تأمر الایة بالتوکل علی الله. سبحانه. خاصة فی عملیة التبلیغ الدینیی.

11. سورة الانبیاء، قال الله تعالیٰ:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (49)

تفسیر الایة: أسلوب هذه الایة- بلاغیا- من نوع قصر الموصوف علی الصفة أي إنك - أیها النبی- أرسلت رحمة و رأفة فقط. فما نری فی حیاة النبی(ص) إلا جانب الرحمة والرأفة. وهذا ما یستفاد أیضا من حمل المصدر علی الذات کما فی قولك زید عدل أي تجسم فیه وصف العدالة کأنه عین عدل، فکذلك هو(ص) رحمة أي تجسمت فیه وصف الرحمة کأنه. ص. عین الرحمة. وکون النبی(ص) رحمة لایختص بقوم دون قوم وبزمان دون زمان وبقطر دون قطر، بل هو رحمة للعالمین، کما أن الله ربّ العالمین فرسوله رحمة للعالمین.

ولذا کان النبی(ص) رحمته شاملة للحیوانات والکفار والمنافقین مضافا إلی المؤمنین- أما المومنون فکان رحیما کثیر الرحمة بهم، قال تعالیٰ:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (50)

والمعنی: لقد جاء کم -أیها المومنون- رسول من قومکم، یشق علیه ماتلقون من المکروه و العنت، حریص علی إیمانکم وصلاح شأنکم، وهو بالمومنین کثیر الرأفة والرحمة.

کان النبی. ص. یحزن ویحسد لعدم قبول الناس دعوة التوحید، وبالتالیی مصیرهم إلی جهنم، قال عزوجل:

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (51)

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (52)

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (53)

ویمکن تفسیر کونه(ص) رحمة للعالمین، بأنه(ص) رحمة تکوینیة و رحمة تشریعیة.

أما کونه(ص) رحمة تکوینیة للعالمین، فبسبب أنه أول مخلوق ولولاه لما خلق الله الأفلاك.

و أما کونه(ص) رحمة تشریعیة فباعتبار أن ما جاء به إلی الناس من الدین هو ذریعة سعادة دیناهم و أخراهم.

فالمومنون المتبعون له(ص) فرحمته تشملهم. ومن ثم میّز الله تعالیٰ أمة حبیبه من بین الأمم بکونها أمة مرحومة" وقال(ص): أمتیی هذه امته مرحومة لیس علیها عذاب فی الاخرة عذابها فیی الدنیا: الفتن والزلازل والقتل" (54)

نکات اخلاقیه فی الایة:

1. الرسول الأکرم بعثه الله رحمة لما سواه.

2. الاسلام دین الرحمة والرأفة.

3. الرسول الاعظم وسیلة الرحمة للمخلوقات.

12. سورة القلم، قال الله تعالیٰ:

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(55)

تفسیرالایة: قال المفسر سید قطب فی تفسیرهذه الایة الکریمة ما ملخصه: یعجزکل قلم، ویعجزکل تصور، عن وصف قیمة هذه الکلمة العظیمة من رب الوجود، وهیی شهادة من الله، فی میزان الله، لعبدالله، یقول له فیها "انك لعلی خلق عظیم" ولقد رویت عن عظمة خلقه فی السیرة، وعلی لسان أصحابه روایات کثیرة، وکان واقع سیرته أعظم شهادة من کل ما روي عنه. ثم إن لهذه اللفتة دلالتها علی تمجید العنصر الأخلاقیی فی میزان الله وأصالة هذا العنصر فی الحقیقة الاسلامیة کأصالة الحقیقة المحمدیه: تقوم علیه أصولها التشریعیة واصولها التهذیبیته علی السواء.

تقوم سیرة محمد(ص) الشخصیة مثالا حیا وصفحة نقیة، وصورة رفیعة، تستحق من الله أن یقول عنها فی کتابه الخالد "وانك لعلی خلق عظیم" وقد تمثلت الاخلاقیة الاسلامیة بکمالها وجمالها وتوازنها وإستقامتها واطرادها وثباتها فی محمد.ص. وتمثلت فی ثناء الله العظیم، وقوله، " وانك لعلی خلق عظیم".(56)

نکات اخلاقیة فی الایة:

1. هذه الایة تؤکد علی لزوم تعظیم وتجلیل مقام النبی(ص)

2. قد أمضی الله تعالیٰ جمیع التصرفات السلوکیة للنبیی(ص) فی حیاته معیارا اخلقیا للمسلمین فی جمیع المجالات.

اللهم بنبیك حوّل حال الأمة المسلمة المرحومة إلی أحسن الحال: الأمن والسلام، ووحدة الکلمة، والإصلاح، وحفظ النفوس والأعراض ورعایة سائرالقیم الاخلاقیة. والاجتناب والتحرز عن الرذائل، فردیا وجماعیا ودولیا وإقلیمیا.

*****

الهوامش والمراجع

1- القمر:50

2- ص: 71-72

3- الامام الغزالیی: إحیاء علوم الدین، مکتبة کریاطه فوترا، سماراغ. اندونیسیا. ج:3، ص:52

4- العلامة محمد حسين طباطبائی، المیزان فی تفسیر القرآن، دار الکتب الاسلامیة، تهران، ج: 20، ص: 27

5- الجمعة: 2

6- المیزان فی تفسیر القرآن، ج: 19، ص: 306

7- بیهقی، احمد بن حسین، السنن الکبری، بیروت، دار الکتب العلمیة، ط3، ج: 19، ص: 323

8- مسند الامام أحمد بن حنبل، دار لفکر، بیروت ط3 : ج: 2 ح: 8991

9- الشیخ الطوسی، محمد بن حسن، الأمالیی، مؤسة بعثت، قم، ط: 1، ص: 596

10- الکلینی: محمد بن یعقوب، أصول الکافی، دار الاضواء بیروت لبنان ج: 2، کتاب الایمان و الکفر، باب حسن الخلق، ح: 2

11- القلم: 4

12- الاحزاب: 21

13- مسند الامام احمد، ج: 5، ح: 244323

14- آل عمران: 110

15- آل عمران: 158

16- الرعد: 11

17- نمط من الشعر نشأفی الأندلس و ذاع فیها، حافظ علی العروض العربیی إجمالاً، و خرج إلی أعاریض جیدة أحیانا، و لکنه فی کلتا الحالتین نهج فی التألیف نهجا جدیدا قائما علی المبالغة فی الرقة والموسیقی و السهولة، فیی هیکل من العقیدة یختلف عن هئیة العقیدة العربیة و سمیی کذلك لأنه یشبه الوشاح أی حلی المرئة، بأشکاله و تطاریزه و اکثر ماینتهی عندهم إلی سبعة أبیات. (www.almaany.com)

18- الامام البخاری، الأدب المفرد، دار الصدیق، المملکة العربیة السعودیة، باب: 144، ح: 308

19- آل عمران: 159

20- المیزان فی تفسیر القرآن، ج: 4، ص: 57

21- العلامة المجلسیی، محمد باقر بن محمد تقی، بحار الانوار، دار احیاء التراث العربیی، ج: 16، ص: 199

22- الانعام: 50

23- المیزان فی تفسیر القران، ج: 7، ص: 95-97

24- الفقیه المحقق الشیخ جعفر السبحانی، الموجز فی الاصول، ص: 37

25- الاعراف: 199

26- صحیح البخاری، ح: 6853

27- الطبرسی فضل بن حسن، مجمع البیان، ج: 4، ص: 787-788

28- التوبه: 61

29۔ مجمع البیان، ج: 5، ص: 68۔ 69

30۔ التوبہ: 61

31۔ النحل: 127

32۔ مجمع البیان، ج: 6، ص: 605–606

33۔ الکہف: 6

34۔ مجمع البیان۔ ج: 6، ص: 694

35۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج: 15، ص: 257

36۔ الکہف: 22–24

37۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج: 13، ص: 289

38۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج: 13، ص: 289–290

39۔ صحیح البخاری، محمد بن اسماعیل۔ کتاب صلوۃ، باب المساجد فی البیوت، ح: 425

40۔ الکہف: 69

41۔ الصافات: 102

42۔ طه: 1–3

43۔ الامام ابن کثیر، اسماعیل بن کثیر۔ تفسیر القرآن العظیم۔ دار الغد الجدید، قاھرہ ط ا۔ 1431ھ ج: 3، ص: 131

44۔ طه: 130–132

45۔ المیزان فی تفسیران۔ ج14، ص254، 259، مجمع البیان: ج: 7، ص: 57

46۔ الشعراء: 214–220

47۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج: 15، ص: 358–359

48۔ المیزان فی تفسیر القرآن ج: 15، ص: 259

49۔ الانبیاء: 107

50۔ التوبہ: 128

51۔ النمل: 70

52۔ فاطر: 8

53۔ الکہف: 6

54۔ الامام ابوداود، سلیمان بن الاشعث، السنن، دار السلام، الریاض: کتاب الفتن والملاحم۔ ح: 4278

55۔ القلم:4

56۔ سید قطب: فی ظلال القرآن، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، ط:5، ج:8، ص:220۔232